ويجوز أن يراد بعدم الاستجابة عدم الإتيان بكتاب أهدى من القرآن لأن فعل الاستجابة يقتضي دعاء ولا دعاء في قوله ( فأتوا بكتاب من عند ا هو أهدى منهما ) بل هو تعجيز فالتقدير : فإن عجزوا ولم يستجيبوا لدعوتك بعد العجز فاعلم أنما يتبعون أهواءهم أي لا يغير . واعلم أن فعل الاستجابة بزيادة السين والتاء يتعدى إلى الدعاء بنفسه ويتعدى إلى الداعي باللام وحينئذ يحذف لفظ الدعاء غالبا فقلما قيل : استجاب ا له دعاءه بل يقتصر على : استجاب ا له فإذا قالوا : دعاه فاستجابه كان المعنى فاستجاب دعاءه . وهذا كقوله ( فإن لم يستجيبوا لكم فأعلموا إنما أنزل بعلم ا ) في سورة هود .

و ( أنما ) المفتوحة الهمزة تفيد الحصر مثل ( إنما ) المكسورة الهمزة لأن المفتوحة الهمزة فرع عن المكسورتها لفظا ومعنى فلا محيص من مفادها فالتقدير فاعلم أنهم ما يتبعون إلا أهواءهم . وجيء بحرف ( إن ) الغالب في الشرط المشكوك على طريقة التهكم أو لأنها الحرف الأصلي . وإقحام فعل ( فاعلم ) للاهتمام بالخبر الذي بعده كما تقدم في قوله تعالى ( واعلموا أن ا يحول بين المرء وقلبه ) في سورة الأنفال .

وقوله ( أتبعه ) جواب ( فأتوا ) أي إن تأتوا به أتبعه وهو مبالغة في التعجيز لأنه إذا وعدهم بأن يتبع ما يأتون به فهو يتبعهم أنفسهم وذلك مما يوفر دواعيهم على محاولة الإتيان بكتاب أهدى من كتابه لو أستطاعوه فإن لم يفعلوا فقد حق عليهم الحق ووجبت عليهم المغلوبية فكان ذلك أدل على عجزهم وأثبت في إعجاز القرآن .

وهذا من التعليق على ما تحقق عدم وقوعه فالمعلق حينئذ ممتنع الوقوع كقوله ( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ) . ولكونه ممتنع الوقوع أمر ا رسوله أن يقوله . وقد فهم من قوله ( فإن لم يستجيبوا ) ومن إقحام ( فاعلم ) أنهم لا يأتون بذلك البتة وهذا من الإعجاز بالإخبار عن الغيب .

وجاء في آخر الكلام تذييل عجيب وهو أنه لا أحد أشد ضلالا من أحد اتبع هواه المنافي لهدى ا .

و ( من ) اسم استفهام عن ذات مبهمة وهو استفهام الإنكار فأفاد الانتفاء فصار معنى الاسمية الذي فيه في معنى نكرة في سياق النفي أفادت العموم فشمل هؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم وغيرهم . وبهذا العموم صار تذييلا وهو كقزله تعالى ( ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من ا ) في سورة البقرة .

وأطلق الاتباع على العمل بما تميله إرادة المرء الناشئة عن ميله إلى المفاسد والأضرار

تشبيها للعمل بالمشي وراء السائر وفيه تشبيه الهوى بسائر والهوى مصدر لمعنى المفعول كقول جعفر بن علبة : .

" هواي مع الركب اليمانين مصعد وقوله ( بغير هدى من ا ) الباء فيه للملابسة وهو موضع الحال من فاعل ( اتبع هواه ) وهو حال كاشفة لتأكيد معنى الهوى لأن الهوى لا يكون ملابسا للهدى الرباني ولا صاحبه ملابسا له لأن الهدى يرجع إلى معنى إصابة المقصد الصالح .

الخلل من معصوما فيكون شيء بكل العالم من وارد لأنه الهدى حق لأنه ا من الهدى وجعل A E والخطأ .

ووجه كونه لا أضل منه أن الضلال في الأصل خطأ الطريق وأنه يقع في أحوال متفاوتة في عواقب المشقة أو الخطر أو الهلاك بالكلية على حسب تفاوت شدة الضلال . وإتباع الهوى مع إلغاء أعمال النظر ومراجعته في النجاة يلقي بصاحبه إلى كثير من أحوال الضر بدون تحديد ولا انحصار .

فلا جرم يكون هذا الاتباع المفارق لجنس الهدى أشد الضلال فصاحبه أشد الضالين ضلالا .

ثم ذيل هذا التذييل بما هو تمامه إذ فيه تعيين هذا الفريق المبهم الذي هو أشد الضالين ضلالا فإنه الفريق الذين كانوا قوما ظالمين أي كان الظلم شأنهم وقوام قوميتهم ولذلك عبر عنهم بالقوم